❁ الثابت والمتغير في علاقة الغرب بالإسلام والمسلمين

د/ مسعود فلوسي
أستاذ محاضر ورئيس المجلس العلمي
لكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية
-جامعة باتنة-

تمهيد:

علاقة الغرب بالإسلام والمسلمين ليست وليدة اللحظة الحاضرة ولا الأمس القريب، إنها علاقة تنبسط على مدى التاريخ عبر ألف وأربعمائة عام، وترجع بداياتها الأولى إلى تلك اللحظات التاريخية التي تم فيها التَّمَاسُّ بين المسلمين والغرب في العصر الأول للإسلام، ثم لم تنقطع بعد ذلك مطلقا.

ورغم أن هذه العلاقة شهدت نوعا من الحوار الثقافي والتعايش السلمي من خلال حركة ترجمة التراث الثقافي اليوناني إلى اللغة العربية، ولا سيما في عهد الدولة العباسية، ثم من خلال حركة ترجمة هذا التراث من جديد إلى اللغة اللاتينية ممزوجا بالإضافات والإبداعات العربية الإسلامية، بالرغم من ذلك فإن الطابع الذي غلب على هذه العلاقة على مدى كل تلك المسيرة التاريخية، هو طابع الصراع لا طابع التعايش، حيث ظلت هذه العلاقة مشحونة بعوامل التوتر والاضطراب والقلق، كما حفلت بصور شتى من التوحش والحذر والتأهب، لقد ظلت علاقة "مصبوغة بالدم، ملفوفة بالضغائن"[1].

هذه العلاقة القائمة على الصراع، ظهرت إلى الوجود منذ حركة الفتوحات الإسلامية التي أدت إلى دخول الإسلام والمسلمين أراضٍ ومناطق هي بالأساس تحت النفوذ

الغربي أو هي أراضٍ غربية أصلا. فقد انتشر الإسلام أولا في الشام وآسيا الصغرى ومصر والشمال الإفريقي، وكل هذه المناطق كانت واقعة تحت النفوذ الروماني، ثم عبر المسلمون المضيق الغربي الفاصل بين إفريقيا وأوربا إلى شبه جزيرة إيبريا، ثم واصلوا مسيرتهم المظفرة متجهين نحو فرنسا، ولكن هزيمتهم في بواتييه وتور أوقفت تلك المسيرة.

وفي الموجة الثانية للمدِّ الإسلامي نحو أوربا، فتح المسلمون شبه جزيرة البلقان، ثم استولوا على القسطنطينية، واتخذوا من عاصمتهم الجديدة (اسطنبول) منطلقا لفتح المجر ووصلت جيوشهم إلى أسوار (فيينا) مرتين، وظلت جيوشهم تشكل خطرا هائلا على أوربا.

ولم يقف الغرب مكتوف اليدين أمام التهديد الإسلامي، بل قابله بفعل مضاد، تمثل أولا في الحروب الصليبية التي شنتها أوربا على العالم الإسلامي، على مدى قرنين من الزمان (**1095 . 1291**م)، وشاركت فيها جيوش جرارة تبلغ مئات الألوف من المحاربين، وكان هؤلاء ينتمون إلى دول أوربا الكبرى.

كذلك لم تستكن أوربا إزاء انتشار الإسلام على أرضها، فعملت على إخراجه من الأندلس، في حرب طويلة مريرة استمرت ثمانية قرون وانتهت بسقوط غرناطة.

كما عملت أوربا على هزيمة الدولة العثمانية وتحطيم قوتها والقضاء عليها، ثم استعمار كثير من بلاد العالم العربي التي كانت تحت سلطتها[2].

وبعد الاستعمار جاءت الهيمنة السياسية والاقتصادية التي جعلت دول العالم الإسلامي، والعربي منه خاصة، تبقى خاضعة للنفوذ الغربي في السياسة والاقتصاد.

وهكذا، فرغم نوبات الضعف التي انتابت العالم الإسلامي، إلا أن الإسلام ظل يمثل هاجسا دائما أمام الغرب، كما ظل الغرب ينظر إليه بوصفه خطرا واقعا أو محتملا،

وهذا ما يفسر هذه الحملات المسعورة والتحرشات المكشوفة التي ظلت تشن على دول بعينها في الشرق العربي.

وهذه الحملة التي تُشنُّ اليوم على العالم الإسلامي من خلال العراق لا تخرج في روحها ومظهرها عن هذا السياق، فهي امتداد للحملات الغربية السابقة على الإسلام والمسلمين، رغم تغير الشعارات وتنوع الأهداف.

ثوابت العلاقة:

إن الناظر المتمعن في هذه المسيرة التاريخية، والمتتبع لجزئيات الصراع وتفاصيله، لا يعدم أن يلاحظ جملة من الثوابت التي حكمت نظرة الغرب إلى الإسلام والمسلمين، وعملت على تصاعد حدة العداء للإسلام وتحول هذا العداء إلى رغبة ملحة في القضاء على العالم الإسلامي وإنهاء وجوده، ويمكن تحديد هذه الثوابت فيما يلي:

أ. الحقد الديني:

لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل العامل الديني في تعامل الغرب مع الإسلام والمسلمين، فالأمر بالنسبة للغربيين لم يكن مجرد عمل على بقاء المسيحية وحمايتها من الاندثار أمام الإسلام، وإنما القضاء على الإسلام نفسه وبسط نفوذ المسيحية المحرفة في محله.

فلا أحد يمكنه أن ينكر ما كان لتشويه صورة الإسلام في عقول المسيحيين في أوربا من أثر في بشاعة الحملات الصليبية التي شُنَّت على العالم الإسلامي، وما خلفته من دمار ومن مجازر بشرية يندى لها جبين الإنسانية[3].

كذلك لا أحد يمكنه أن ينكر أن الرغبة الجامحة في إخراج الإسلام والمسلمين من الأندلس كان الدافع إليه دينيا بحتا، حيث خُيِّرَ المسلمون بعد سقوط غرناطة بين التحول عن دينهم إلى النصرانية أو الهجرة إلى خارج الأندلس أو القتل[4]. وقد مثلت

محاكم التفتيش نوعا من الجهاد المسيحي ضد المسلمين، وتمت إبادة شعب مسلم لا يقل تعداده عن أربعة ملايين على أيدي مواطنيهم المسيحيين الذين سبق لهم أن نعموا بالحياة الآمنة قرونا في ظل الحكم والحضارة الإسلامية[5]

كما يُذكر في هذا السياق؛ أن النساء في الغرب، أيام الصراع مع الدولة العثمانية، كن يخفن أولادهن بـ"التركي"، والتركي في أوربا ـ حينئذ ـ رمز الإسلام[6].

إن العقلية الغربية تختزن كما هائلا من الحقد والكراهية تجاه كل ما يمت إلى الإسلام والمسلمين، بفعل الثقافة التي تكرست في المدارس الغربية والإعلام الغربي، تلك الثقافة القائمة على اعتبار الإسلام هو العدو الأول للغرب.

يقول مراد هوفمان: "إن أوربا وأمريكا تتسامحان مع أي دين، إلا إذا كان هذا الدين هو الإسلام. نعم، إذا سبرت غور النفس الأوربية ولو بخدش سطحي صغير لوجدت تحت الطبقة اللامعة الرقيقة عداء للإسلام، تلك العقدة الدفينة التي يمكن استدعاؤها في أي وقت"[7].

ولاشك أن مظاهر الصحوة الإسلامية، والعودة الواسعة إلى الالتزام بالإسلام في العالم الإسلامي، والتكاتف والأخوة والتفاعل الحاصل بين المسلمين بسبب ما يتعرضون له من ظلم دولي، واستهداف غربي، وكذا الشعور الغربي بأن الإسلام، يحاصر القيم الغربية في داخل أوربا وأمريكا، كل ذلك يذكي نار الحقد الديني ويستثير كوامن التحفز والهجوم في نفوس القيادات الغربية لشن الحملات المتوالية على الإسلام والمسلمين بغية دحر المدِّ الإسلامي وتعويق النهضة الإسلامية.

ويمكن ضرب الأمثلة من واقعنا المعاصر على الحقد الديني الغربي تجاه الإسلام والمسلمين، ففي سنة **1992** احتفلت أوربا بذكرى مرور خمسمائة عام على اقتلاع الإسلام من الأندلس بسقوط غرناطة في يناير سنة **1492**، وأقامت الدورة

الأولمبية في ذات البلدة التي شهدت هذا الاقتلاع وهي "برشلونة"، وقد عُرِضت في هذه المناسبة المسرحيات والأفلام والأناشيد التي تذكر بهذا الحدث.

ثم يشن الغرب في نفس عام هذه الذكرى **1992** حرب الإبادة لمسلمي البوسنة والهرسك أمام مرأى كل العالم ومسمعه، كي لا تقوم "دويلة" إسلامية في أوربا، رغم السماح لكل الأعراق والديانات في يوغسلافيا السابقة بحق تقرير المصير والاستقلال.. ثم يظل هذا الموقف الغربي ثابتا من ثوابت الاستراتيجيات الغربية إزاء مسلمي البلقان، من الألبان، إلى كوسوفا، إلى غيرهما، دون كل الديانات والقوميات.

وغير خافٍ أيضا أن الغرب قد هَبَّ عن بكرة أبيه لتمكين أقل من مليون كاثوليكي في تيمور الشرقية من الانفصال عن الدولة الإندونيسية المسلمة، بدعوى حق هؤلاء الكاثوليك في تقرير المصير. وغير خافية كذلك محاولات الغرب لتمكين الوثنيين في جنوب السودان من الانفصال عن الدولة الإسلامية الأم، في حين يُحرم المسلمون في فلسطين وكشمير والشيشان من حقهم في تقرير المصير لأنهم مسلمون وفقط..

أليس الشعور بالخطر الإسلامي هو الذي يقف وراء إصدار الولايات المتحدة الأمريكية لأوامرها لعدد من الحكومات العربية والإسلامية بتغيير مناهج التعليم الديني، لتقف فقط عند الشعائر والمناسك والعبادات والشكليات، مع إلغاء كل ما يتعلق بالسياسة والاجتماع والاقتصاد والدولة والثروات والعزة والجهاد وتاريخ الغزوات والفتوحات والتحرر الوطني، مع اختصار حصص هذا التعليم الديني في بعض البلاد من أربع وعشرين ساعة أسبوعيا إلى أربع ساعات فقط؟.

أليس الحقد الديني تجاه الإسلام والمسلمين، هو ما يقف وراء جعل الأدباء الفاشلين الذين يحترفون الهجوم على الإسلام أبطالا في المجتمعات الغربية، حيث

يُشَهِّرُهُم الإعلام باعتبارهم مفكرين أحرارا من طراز عالٍ، ويستقبلهم رؤساء الدول وتحميهم أجهزة الأمن وتنهال عليهم الجوائز العالمية الكبرى دون أدنى استحقاق؟[8]

لا شك أن كل تلك الأدلة واضحة وصريحة تكشف عمق البعد الديني في علاقة الغرب بالإسلام والمسلمين، ذلك البعد الذي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ.

ب ـ الطمع الاقتصادي:

لا يمكن كذلك تجاهل العامل الاقتصادي في علاقة الغرب بالإسلام والمسلمين، فالمسلمون يعيشون على أرض هي من أغنى مناطق العالم بالثروات الطبيعية، تلك الثروات التي يفتقدها الغربيون في بلادهم وهم بأمس الحاجة إليها في كل وقت.

فليس سِرًّا الصراعُ بين الغربيين أنفسهم حول ثروات العالم الإسلامي وخيراته، بل هو المحرك لكثير من مشكلات الغربيين أحيانا فيما بينهم، كما حدث قبل حرب العراق الأخيرة بين الولايات المتحدة وحلفائها في أوربا.

والواقع أن هذا العامل ليس متعلقا فقط بعلاقة الغرب بالإسلام والمسلمين وإنما هو خاص بعلاقة الغرب بكل من لا ينتمي إليه، فمنذ خرجت القوى الغربية تجتاح البحار والقارات، كانت تبحث عن الثروة والقوة، وتقتل كل من يعترض طريقها. لكن هذا العامل ظاهر أكثر فأكثر في علاقته بالعالم الإسلامي وفي مجاله العربي خصوصا.

وقد شكل ظهور البترول ومختلف مصادر الطاقة، وتميز مختلف مناطق العالم العربي الإسلامي باستحواذها على أكبر الاحتياطات العالمية من هذه المصادر، أحد العوامل الذي فتحت شهية الغرب وحفزت قادته للتفكير في الاستيلاء على هذه الخيرات والحصول عليها من أيسر الطرق وبأقل الأثمان.

ولم تتغير مواقف الغربيين في هذا المجال، فهم كلهم يكرهون الخير للعرب، ويرون أنهم أحق به منهم، بل لقد تحدث بعضهم عما أسماه "خطأ الرب"، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، في أنه جعل البترول في غير المكان المناسب، ولذلك فهم سيسيطرون على مواطن النفط بأي طريقة[9] .

وليس إقدام الولايات المتحدة اليوم على اجتياح العراق سوى ذريعة للاستيلاء على آبار النفط الغنية التي حبا الله عز وجل بها هذا البلد العربي الإسلامي، فإن بقاء هذه الآبار في أيدي أهلها يجعل الولايات المتحدة في خطر ويعرض مستقبل شعبها للارتهان. وقد سمعت وزير الدفاع الأمريكي الحالي دونالد رامسفيلد عندما سئل عن المبرر الذي حفز الولايات المتحدة لغزو العراق، يقول: إن المبرر هو مستقبل الشعب الأمريكي. ويعني بذلك مستقبله في الاستفادة من مصادر الطاقة وأمانه من نضوبِها أو منعِه من الوصول إليها أو الحصول عليها.

ج ـ الفعل اليهودي:

لا يُنكر كذلك، الدور اليهودي في تأجيج نار الصراع بين الغرب والإسلام وإطالة أمد هذا الصراع أطول فترة ممكنة، وكلما بدا نوع من محاولة التفهم والتقارب بين الغرب والعالم الإسلامي كلما سارع اليهود إلى صب الزيت على النار وتأجيجها من جديد.. فالمستفيد الأول والأكبر من استمرار الصراع بين الغرب والإسلام هم اليهود، الذين يهمهم أن يعمل الغرب على كسر شوكة المسلمين حتى يظلوا هم على قوتهم ونفوذهم وبقاء كيانهم.

وباستقراء التاريخ، يتبين أنه ما من صراع نشأ بين الغرب والإسلام إلا ويقف اليهود وراءه.

والواقع خير شاهد اليوم، فإن اليهود المسيطرين على منابر السياسة والاقتصاد والإعلام في الغرب يبذلون أقصى جهودهم لتشويه صورة الإسلام في الغرب وإظهار المسلمين في صورة الوحوش الضارية التي إذا وصلت إلى الغرب لم تُبْقِ ولم تَذَرْ.

ويكفي أن نضرب مثلا بخُطب نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل الأسبق في الكونجرس الأمريكي وغيره، وفي نيويورك، وفي الجامعات والمدارس والمؤسسات الاستراتيجية، تلك الخطب التي نشرت الرعب والهلع في نفوس الأمريكيين من الإسلام والمسلمين، فقد كان يتوعدهم بالمتفجرات في الشوارع والبيوت والجامعات والمدن والأسواق والمطاعم إذا هم أقبلوا على الإسلام أو تسامحوا مع المسلمين.

وفي أمريكا عشرات المراكز اليهودية التي تشن حملات دعائية إعلامية ترهب الأمريكيين من الإسلام وتتوعدهم بالموت على أيدي المسلمين الذين يوشكون أن يحاصروا أمريكا[10].

وكل ذلك يصب بالتأكيد في إطار خدمة مخططات إسرائيل الكبرى، ويعمل على حمايتها من جيرانها العرب والمسلمين الذين تشعر بتهديدهم لها على الدوام.

ولم يزل التهديد بخطر الإرهاب خير وسيلة لإسرائيل والإسرائيليين في تسخير الدولة الأمريكية لهم، ودفعها للقيام بالحملات ضد المسلمين نيابة عنهم [11].

وليس خافيا على أحد أن اليهود يشكلون اليوم الغالبية من مستشاري السياسة الغربية والأمريكية خصوصا، بل حتى من بين المسؤولين المشرفين على تسيير كثير من المؤسسات المالية والإعلامية المؤثرة في الغرب.

المتغير في العلاقة:

لعل المتغير الوحيد في علاقة الغرب بالإسلام عبر التاريخ الطويل لهذه العلاقة هو تنوع الوسائل والأساليب المستخدمة من قبل الغرب في التعامل مع الإسلام والمسلمين، ويمكن تحديد هذه الوسائل على كثرتها في ثلاثة أنواع: الاحتلال العسكري، والغزو الثقافي، والإفقار الاقتصادي، وقد تم استخدامها أحيانا متوازية ودفعة واحدة، كما تم استخدامها على سبيل التداول مرات أخرى، على حسب مقتضيات الظروف.

1. الاحتلال العسكري:

بدأ مشروع الاحتلال العسكري لبلاد العالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية، التي كانت تهدف إلى دحر الوجود الإسلامي في المناطق التي كانت خاضعة للحكم الروماني والبيزنطي، وإعادة إلحاقها بالعالم المسيحي.

ولما لم تنجح تلك الحملات التي دامت قرونا عديدة، فقد أعاد الاستعمار الغربي الكرة بعد اندحار الدولة العثمانية، وقام باحتلال أغلب مناطق العالم الإسلامي واقتسامها بين دول أوربا الكبرى حينئذ.

وقد عرفت بلاد الإسلام خلال فترات الاحتلال العسكري الغربي لها، مراحل طويلة من القمع والاضطهاد والهمجية والظلامية القائمة على التجهيل والتضليل ومنع المسلمين من تعلم دينهم ولغتهم، والحيلولة بينهم وبين أسباب اليقظة والوعي.

كما أبادت الجيوش الغربية ملايين المسلمين الذين أظهروا المقاومة ورغبوا في التحرر من السيطرة الأوربية على بلادهم وتحكمها فيم مصائرهم وأقواتهم.

2. الغزو الثقافي:

تزامن التفكير في الغزو الثقافي الغربي للعالم الإسلامي، مع فترة الاستعمار العسكري، حيث شهدت هده الفترة نشأة مراكز أبحاث الاستشراق، وعملها على سبر

أغوار العالم الإسلامي ودراسة شخصية المسلمين وتراثهم الثقافي والعمل على تشويهه من خلال إبراز التيارات المنحرفة في الفكر الإسلامي وإظهارها باعتبارها حركات فكرية تحررية تعرضت للقمع والاضطهاد. وأن ذلك دليل على أن الإسلام دين الظلامية والانغلاق والقمع الفكري.

وبعد استقلال الدول الإسلامية وتحررها من الاحتلال العسكري الغربي، تم الشروع في مرحلة جديدة، هي مرحلة الغزو الثقافي لعقول المسلمين.

وقد كان الهدف الأول للغزو الثقافي؛ إسقاط العلوم الشرعية الإسلامية من مكانتها في الهيمنة على حياة المسلمين، ثم إصابتها في مقاتلها.

كما عمل هذا النوع من الغزو على خلق جيل من أبناء المسلمين زاهد في الانتماء إلى دينه، غير متحمس له ولا حريص عليه، ينظر بعين التقديس إلى الأديان الأخرى ولا يشعر بالاحترام لدينه، ويفضل التحدث بألسنة الغرب ولغاته ويستهين بلغته، ويكرم زعماء العالم قديما وحديثا ولا يكترث لرجالات الإسلام ودعاته.

وقد أفلح الغزو الثقافي في إنتاج أعداد من المسلمين المرتدين عن دينهم، الذين لا يتورعون عن المناداة في بلاد الإسلام بترك الصلاة أو الصيام، أو الجهر بتخلف ووحشية شرائع الحدود والقصاص[12]

وليست بخافية كذلك جهود التنصير التي تكتسح دول العالم الإسلامي وشعوبه، والتي تلقى كل الدعم والتشجيع من قبل أعلى السلطات الدينية والسياسية والثقافية في الغرب. والهدف من التنصير في الواقع ليس إدخال المسلمين في النصرانية بقدر ما هو إبعادهم عن دينهم وحملهم على ازدرائه والتنكر لتعاليمه. لكن النتيجة، والحمد لله، كانت في أغلب الحالات سلبية، حيث عجزت جهود التنصير . رغم ضخامتها والإمكانيات الهائلة التي سُخرت لإنجاحها . عن حمل المسلمين على

الارتداد عن دينهم الحق، ولم تُفلح إلا في حالات قليلة كان ضحاياها في كثير من الأحيان من ضعاف الإيمان من المسلمين أو من الذين تربطهم بالإسلام خيوط واهية.

3.1الإفقار الاقتصادي:

بعد أن جرب الغرب مع العالم الإسلامي كلا من الاحتلال العسكري والغزو الثقافي، ولم ينجح في تحقيق أهدافه من خلالهما، هاهو يسلك مسلكا جديدا هو الاستيلاء على الثروات الاقتصادية للعالم الإسلامي والاستئثار بها مباشرة والإشراف على استخراجها وبيعها بدلا من أهلها الدين هم دون مستوى أهلية التصرف فيها.

والاتجاه السائد في الغرب اليوم، وفي أمريكا خصوصا؛ أن من أخطر ما يمكن أن يستمر بقاؤه أو يحدث في المستقبل هو أن يتحسن وضع المسلمين الاقتصادي، ولهذا فإن إفقار بلاد المسلمين مستقبلا هدف استراتيجي تسلم بصحته عدد كبير من الدوائر الغربية والأمريكية خصوصا، لأن تحسن الاقتصاد يعني تحسن ظروف المجتمع وتعليمه، ويعني وجود مال للمؤسسات الخيرية، ويعني سهولة المعارضة، ويعني الإرهاب كما يرون، ويعني أن يستطيع الفلسطينيون الإبقاء على مقاومة الاحتلال.. وكل هذه مصائب لدى المحركين اليهود. وينصح بعض الخبراء اليهود في أمريكا بأنه يجب الحفاظ على العالم الإسلامي فقيرا وذليلا، لأن المسلمين إن تحرروا أو شبعوا قاوموا الغرب، فغاية هؤلاء الحفاظ على المسلمين فقراء مقهورين متخاصمين متقاتلين، لا يفيقون من الفقر والتخلف والخلاف والصراع [13].

وقد سبق لوزير الخارجية الأمريكي الأسبق ومهندس السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط هنري كيسنجر أن تحدث عن إمكانية تدخل الولايات المتحدة في حقول النفط حال استخدام العرب له كوسيلة للضغط أو التمرد[14]

ولا شك أنه في هذا السياق بالذات يندرج الغزو الأمريكي للعراق، حيث يتجلى بكل وضوح حرص الأمريكيين على النفط العراقي، فقد قاموا بمجرد دخول بغداد بإقامة حراسة مشددة حول وزارة النفط العراقية، كما قاموا بإحاطة آبار النفط في كركوك وصيانتها، في حين تركوا بقية المنشآت العراقية من وزارات وجامعات ومتاحف عرضة للنهب والسلب والتدمير والإحراق، ولعلهم هم أنفسهم الذين أمروا بذلك.

وبالتأكيد لن يكون العراق هو البلد الأخير المرشح للاستيلاء على خيراته وثرواته والحجر على أهله وأبنائه، فإن القائمة لدى الأمريكيين ما تزال تتسع لأكثر من بلد، وما العراق إلا الحلقة الأولى في السلسلة المتصلة، إذ ليس واردا في المخيلة الأمريكية الجديدة أن تترك غنيمة النفط لعربي قومي أو وطني، أو إسلامي يتحكم بهذه الثروة، أو يفاوض في الأسعار.

خاتمة

أخيرا لابد من التأكيد على أن الغرب بصورته الحديثة يرفض التعايش مع الآخر مهما كان، لكنه يرفض الآخر الإسلامي أو المسلم بصفة خاصة ولا يقبل الوقوف معه موقف الندية، ف"المسلم في نظر الغرب شخص مرفوض ومرمي في دائرة عقائده الغريبة ودينه الخاص وجهاده المقدس وقمعه للمرأة وجهله بحقوق الإنسان وقيم الديمقراطية ومعارضته الأزلية والجوهرية للعلمنة.. والمثقف الموصوف بالمسلم يُشار إليه دائما بضمير الغائب، فهو الأجنبي الممقوت الذي لا يمكن تمثله أو هضمه في المجتمعات الغربية لأنه يستعصي على كل تحديث أو حداثة.. والإسلام ليس معتبرا كغيرية شرعية أو كمقابل في الطرف الآخر يقف على قدم المساواة أو كطرف جدير بالحوار أو كشريك للأديان الأخرى، وإنما هو دائما الشيء الغائب المشار إليه

بضمير الغائب أيضا، أي هو موضوع الكلام وليس ذاتا متكلمة وأنَّى له ذلك"[15]. وليس هذا بالأمر الغريب في الواقع، فإن الحضارة الغربية قائمة أساسا على نزعة الاستعلاء على الآخر، واعتبار نفسها هي المعيار الذي يجب على العالم أن يقيم نفسه على أساسه ويعيد تشكيل نفسه ليتوافق معه.

إنه لجميل حقا أن نتحدث عن التعايش وعن حوار الحضارات، وإنه لرائع حقا أن نحلم بسلام دائم وتعايش مستمر بين جميع شعوب الأرض، ولكن ما أبعد الواقع عن المثال، وما أسرع ما تتهاوى الأحلام الإسلامية أمام الأحقاد والأطماع الغربية، وتلك هي مشكلتنا الأولى نحن المسلمين مع الغربيين، نريد أن نتعايش معهم على قدم المساواة وفي إطار العدالة وتبادل المصالح، ولكنهم يأبون إلا أن نَذِلَّ لهم ونخضع، ونتنكر لعقيدتنا وحضارتنا، ونبذُل خيرات بلادنا وثرواتها لهم دون أن يكون لنا فيها أيُّ حق من أي نوع، وهذا ما لن تنشرح به صدورنا في يوم من الأيام.

الهوامش

1-ورقة قدمت إلى الملتقى الدولي الخامس لكلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر، حول "الإسلام والغرب.. تعايش أم تنافر؟"، أيام:21 ،22، 23 أبريل2003 م.

2-هموم داعية، للشيخ محمد الغزالي رحمه الله، دار القلم – دمشق، ص: 59.

3-لمزيد من التفاصيل، راجع بحث: الإسلام والغرب في ظل العولمة، للدكتور عبد الحميد مذكور، في كتاب: الإسلام في عصر العولمة، ص. ص: 412. 417. وهو كتاب يجمع أبحاث المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ماي 1999.

4- محمد أسد: الإسلام في مفترق الطرق، ص: 57، 58.

5- الإسلام والغرب، لبرنارد لويس، ص: 15. قصة الحضارة، لول ديورانت، مج: 4، ج: 3، ص: 219 وما بعدها.

6- العولمة والحوار الحضاري، بحث للدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوي، في كتاب: الإسلام وحوار الحضارات، وهو كتاب يجمع أبحاث المؤتمر الدولي الخامس للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ماي 2000، ص:67.

7- هموم داعية، لمحمد الغزالي، ص: 59.

8- الإسلام عام 2000، ص: 37. وانظر أيضا ص: 33 وما بعدها.

9- لمزيد من التفاصيل، راجع: الحملة الجديدة على العالم الإسلامي، مقال بقلم الدكتور محمد عمارة، في مجلة المنار الجديد، القاهرة، السنة السادسة، العدد 21، شتاء 2003، ص: 84.

10- أنظر لمزيد من التفاصيل: العراق وما بعده وما قبله، مقال بقلم: الدكتور محمد بن حامد الأحمري، في مجلة المنار الجديد، مرجع سابق، ص: 4 وما بعدها.

11- أنظر لتفاصيل أكثر، المرجع السابق، ص: 14.

12- المرجع السابق نفسه، ص: 15.

13- راجع التفاصيل في كتاب الشيخ محمد الغزالي: الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. دار الشروق . القاهرة.

14- العراق وما بعده وما قبله، مقال محمد حامد الأحمري، مجلة المنار الجديد، مرجع سابق، ص: 18.
لعولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط.. مفاهيم عصر قادم، لبيار الجميل، ط: 1 ، بيروت، 1997، ص: 41.

15- من بحث الدكتور عبد الفتاح الفاوي في كتاب الإسلام وحوار الحضارات، مرجع سابق، ص: 80 – 81